الاهداء:

الى ابنة أختي "رفيف"

المقدمة:

لا أعرف ماذا يقولون بالمقدمة

لكن دعني اختصر عليك الحكاية

قبل عامين من الان جالت برأسي فكرة بعثرات كاتب

وهي صفحة على الفيس بوك انشر عليها كلمات هشة للتعبير عن.

واقصد بكلمة هشة نصوص ضعيفة وقد تعمدت جعلها ضعيفة

الأولى ليمل القارئ ولا يلاحظ فبركة ما اعيدها في النصوص تعبر عن سر ضعفي والثانية ليفهم القارئ أن التمتمة وضعف الحديث يصدران من وساوس وشخصيات متلعثمة تحاول اخبار الف فكرة في آن واحد وهذا ما قصدته أيضا في الغلاف.

لا دخل لي بالنصوص كتبها الشعب الذي يسكن داخل عقلي.

أود التذكير بأن الهشاشة ليست مستوى كتابة بل رسالة سرية أتمنى أن يفهمها القارئ.

بالمناسبة بعد عن قبل أسطر هناك جملة لكن لا اريد أكمالها

هذه الغيوم المتمردة التي طغت على أشعة الشمس بعد عِراك الفصول المزعج،وخيبة الصيف المملة تأتي بعد قطعها مسافةً تعدت الأميال فهلكت وصبت عرقها علينا؛ ذلك العرق طيب الرائحة كثير الخير قليل الشر يستتر على عتبة الأيام المظلمة التي لم نتنبه لها قبل.

تتلملم صفوف الذكريات على دماغك المنهك لتبدأ بالتذكير أن هنالك عدة مواقف كانت جُزءاً من لحظةٍ غفلت عنها او مارستها سهواً ليس إلا.

جلب الغيم المطر فصبت بعثرتها على شتات الأرض لتجميعها فأصابت كل شيء حتى امطرت مخيلتنا لا بل استدعت الأحاسيس الوهمية التي لا نعلم بها شيئاً ونتفاجئ من انفسِنا بها.

جميع الأشواط تأتي في آنٍ معاً تتحرك مع بعضها ثم يبقى التعب والأشواط التي قطعتها تلك الغيوم هي أساس كل شيء حتى أفرحت قلوبنا بعرقها.

من لم يفشل فاشل!

من لم ينتكس ويصطدم لا يُحدِث ثورة.

ربما احلامنا الغير وردية سقطت وتهاوت تعرضنا في بداية اعمارنا ونحن في مرحلة الوعي والنضج بإنتكاساتٍ غريبة غيرت محور التفكير وجعلتنا هُزلاء بين انفسنا مع انفسنا.

تتساقط الورقة في إحدى ليالي الخريف المعتدل ولا تتأثر عن سقوطها لإنها تعلم أن سقوطها على الأرض يُنبتها في الربيع من جديد لِتُصبح اقوى واقوى.

تجديد البصر والثقة بالرب وتصنع الأمل المفقود والتباهي بما لا تستطيع الناس فعله هو طريقك نحو الصعود.

لا تدع عتمة الليل وظلام الطريق الموحش يُنسيك بوجود المصابيح او الضوء في مكانٍ ما. او يُطل عليك القمر فيُضيء عتمتك القليلة.

نؤمن بالقدر فلا تدع دغدغة القلوب الصامتة تُؤثر عليك وتُهزم.

لا تحتاج الى الوظيفة ولا تحتاج الى كنية شعبية يُطلقها المجتمع قبل إسمك بل تحتاج الى الجلوس مع نفسك وتكون راضياً بإنك حققت ما كنت ترنو اليه ذات يوم.

لا تتعجل العظمة قادمة ويكفيك الندم ليس خطأك حتى لو انهكتك ظروفك وتعثراتك.

كانت هذه مجرد وصية كتبها احد الأشخاص المستسلمين مع اول انتكاسة قبل وفاته.

لقد تناثرنا هنا وهناك بين العدم والمنطق بين المكان الواسع والشعور بالأنحصار. نفقد السيطرة في التعبير عن اي شيء يأتي على الفكر المشتت فيُضيق من رؤيتنا الى الأمام فيصدى حبل افكارنا فتنقطع السُبل ويتفتت الأمل ويندثر هنا وهناك بين اعقاب هذا العالم المشؤوم لتخرج لنا فكرة معدومة عن الوجود تُنازعنا في البقاء وتجعلنا متمردين على الذات نطفو في بحر انفصامنا فنفقد السيطرة وتنطفئ حرارة اجسامنا نعم انها فكرة التفتت انت الأمل الضائع والطريق المعدوم والزاوية السوداء والشرير الذي سينتهي دوره في نهاية الفيلم!

تحتاج الى بعض السخافة في حديثك كي تأخذ الناس فكرتها عنك بإنك انسانٌ جدّي ذو هيبةٍ كثيفة!

تحتاج الى النفاق في تعاملك كي يؤمن البعض بإنك انسانٌ صادق ويوعزوك بالثقة الدائمة!

ناقضنا اقوال نيوتن بأن لكل فعلٍ ردُ فعل ناقضناه لنقول: ما بال الفعل اذا اخذنا ردة الفعل انها المقياس لكل شيء ثم نتفاجئ انه امرٌ ليس بالمنطق فنُكافئ بالخُذلان!

نحنُ نعيش التفاصيل والأحداث لإجل النهاية فقط نقرأ رواية ننسجم بقصة نُشاهد فيلماً فقط من اجل النهاية ومعرفة ماذا سيحصل بصرف الأنظار عن كل الصعوبات والأحداث المزمنة التي تقع نتفاجئ جميعاً أن من غطرسة الزمن هو النهايات الغير متوقعة؛لذلك تفقد النهاية قبل الوسط والبداية!

لربما اليوم تاريخ غريب يدخل المذكرة السنوية او التاريخية لن يتكرر كثيراً له رونقه الخاص المتحلي بالطابع الغريب ليومٍ مميز.

لربما هذه التواريخ المميزة تدفع من يسهر عشقاً في بعض الطبقات النبيلة اوالادنى لإقامة حفلة صغير يتلذذ بها مع من يحب اواحدهم مع معشوقته ويختلس الفرصة للحصول على مسكة يد اوقبلة ذهبية تخلد شرف هذا اليوم المميز من الدهر.

لربما بعض المحال الخاصة بالمجوهرات ممتلئة بإناس ذهبوا اليهم ليختاروا خاتماً يكون دليلاً على جديّته للزواج من محبوبته المدعوة اليوم لحفلة العشاء.

ومن جهة اخرى ربما تكون اليوم ذاكرة قبيحة لإثنين افترقا وحلت عليهم تلك اللعنة الفاشلة التي تصيب الجميع عدا المحظوظين منهم.

هذا التاريخ المميز لا يحمل معه مجرد اشياء كهذه بل يحمل معه احداثاً تكررت وتتكرر لكن ما يخلفها عن باقي الايام انها في تاريخ حديث. احدهم فقد حياته اليوم وبات منعزلاً عن عالم الاجساد ويبقى اليوم ليسطر شرف موته اما الاخر فلربما يولد من تحت ضوء غرفة العمليات مولودٌ جديد يحل محل الذي توفى وقد تتغير حياة اخرى من الناس كأن يحمل شنطة غربته ويبتعد عن اهله الى بلدٍ اخر ليُكون ما كون قبل ان يرحل ومن جانبٍ اخر لربما تجد شخصاً عاد من غربة مستبدة ابعدته عن اهله سنواتٍ عجاف.

مجرد تفاصيلٍ دقيقة تحدث كل يوم لانُحس بها ولكن الامر غير مرتبطٍ بعدة احداث بل متعلق بتاريخ بمجموعة من الارقام المركونة بجانب بعضها بعضاً تعد من يومٍ ولد يسوع

هذه الاحداث تتجمل بتاريخها اما النية من اليوم فهي تتجدد من جديد لتطفئ نار الامس الذي احرق احداثنا.

/10/202010

اعيدها أخرى2020/11/11

ما وراء الستار لا ينكشف شيء! الحقيقة التي كانت تُحكى في أخر المثل اختفت.

تنقشع السعادة مثل ما تنقشع السحابة التي اهدرت نفسها بوابل المطر المُفرط ذاك وتتربع على السماء ثم زالت فجأة.

منذ أن ظهر العداء على التعاسة وبعد أن سقط التُعساء في التاتاروس لم يبقى لي شيء. انا جُزءٌ لا يتجزء من هذا الظلام المُنير،والطريق الموحش، والصراط المتفكك، والقلب القاسي.

اناأخر تعيس سوف يختفي لاحقاً كما اختفت كلمة الحقيقة من وراء الستار فكلانا سوف يسقط في الهاوية!

ما رُوي عن شاب :

احببتها حباً صادقاً وهي كذلك سرنا على نهج الخلاف ،وتركنا المراهقة لإهلها، واختلقنا طريقاً أخر للحب حتى تسير علاقتنا بشكلٍ جيد وكل يوم تتم الوعود على أن نبقى للآبد.

من حب الخمسة اعوام تزوجتها وانجبنا طفلة الأمر الذي جعل علاقتي بها تزيد ومحبتي لها تطغى الحدود والإمكانية.

عائلتنا هي رمزٌ للعائلة المثالية الملهمة. كل ليلة تأخذ يدي ونتمشى بالطريق الذي كنا نتمشى فيه قبل اعوام ونضحك على انفسنا ونشكر الرب لإنه أدامنا الى بعضنا وأقبلها في وسط الزحمة وبين البشر.

كانت هذه مخيلتي عندما رأيتها صِدفةً بعد أن جفت علاقتنا منذ ثلاثة اعوام؛ ذاهبة الى السوق لشراء كسوةٍ جديدةٍ لإبنها!

ما بال الطفولة لو تسمّرت مكانها؟

السنين لاتمر!انت من تمر،جسدك،عقلك،همومك،أفكارك كلها تكبُر.

لا أحد يفهمك؟ حتى انت تشكك في فهمك لنفسك!

تنام ليلة وتبكي كالرضيع في ليلةٍ أخرى.

تُناقض نفسك،وتجلس حائراً لا تعلم ماذا ستفعل او أين الطريق،فتقوم بتصنّع الفرح والسرور حتى تتناسى او لا تتناسى بل لإلهام الناس بإنك واعٍ بما تقوم به.

أحلامك لك! مهما كانت سوف تصل.

المستقبلُ يأتي مثل الغد فهو يصبح اليوم!

اليأس يقتل،والأمل يُشاهد من بعيد ويستمتع بقتلك!

حسناً صديقي لقد دخلتُ الى اعماقك قف بجانبي حتى نُشكل عصابةً ضد المنطق!

أخبرتني ذات يوم

سامر أُفضل الموت على أن اتخيل نفسي مع أحدٍ غيرك.

وبالفعل،ماتت ضحكاً عندما ذكرت لها قولها يوم دعوني الى حفلة زفافها.

أين الملجأ؟

لقد هرب كل شيء مني وتوقفت حياتي ولم أعد افهم ماذا يجري معي!

ماذا جرى لي حتى أُفكر سبعين مرة بالدقيقة بمعدل فكرة وربع بالثانية؟

أهذا كله من انتكاسات الزمان المُعيب،أم من برد الشتاء الذي يأتي مرة كل ثلاثة اسابيع؟

مع الشخص الذي سألني عن حُزني اليوم بلغ عدد الأشخاص الذين سألوني عن خيبتي 34 شخصاً.

إذ أخبروني سامر لماذا شخصيُّتك التعيسة المُبهمة تتصوّف أمام تصنّعٍ بسيطٍ من الفرح!

حياتي سقطت كيف لا ومنذ شهرُ ميلادي الشهر الثامن من العام أتلقى مئة رصاصة ناثرت اشلائي بعيداً في الأُفق.

كُل من احببته من الأشخاص دُفن في حُفرة عميقة من التراب.

كُل أحلامي دُفنت في مقبرةٍ من دمائي الفاسدة.

نحو استياءٍ فاشل وملامح كئيبة لا تعرف أين الطريق المهجور الى الراحة ربما.

أعيش على وقع التعاسة، الحُزن، الفشل،الوعكة النفسية،المشاعر الغائبة، والقلب الميت.

روحٌ بلا جسد،أو جسدٌ بلا روح كلاهما يؤدي المعنى الوظيفي نفسُه.

روحٌ خُلِّدت في الجحيم الدائم،وجسدٌ تعفّن من إنتهاكات الزمان وآلم الفكر العاصي.

أُحاول إخفاء تلك التعفنات بقليلٍ من الملابس المُلفتة حتى تستتر على جسدي المُتآكل فلا تظهر أثار العفن البالية.

لقد دعوتُ الربّ كثيراً وما زلت أرجو!

لكن أُحس بإني كاليسوع أُنزل كي يُصلب!

كان هذا جوابي وسيبقى جوابي حتى يدخلونني مصحة نفسية سِت نُجوم.

الى حُلمي الذي لا يزال يُعذبني رُغم محبتي له. لقد تعبت حتى الوصول إليك سهرت الليالي،ذرفت الدموع أفقدك بسبب تغيير إجابة قبل إنتهاء الأمتحان بدقيقة!

لقد سقطت على ركبتي، لقد تبللت وسادتي وأصبحت رطبة،

لقد فقدت بحة صوتي فأصبحت أصمّاً يُكلم الناس بالإشارة.

الطريق إليك طويل وانا أزحف حتى أصل اليك كيف الوصول؟ أرجوك اما أن تُجيبني او أقترب انت.

يطرق ساعي البريد الباب بعنفٍ شديد وصوت أجراس الكنائس على الطرف الأخر من المدينة يرتفع وأصوات النعي تأتي من أمامها وفجأة تُغلق ألشوارع عند باب الكنيسة من زحمة السيارات المتتالية.

تخرج لتلتقي بساعي البريد الذي أفسد نومها العميق ليأتي قائلاً لديكِ رسالة فتح ذلك الكيس العتيق وأخرج الرسالة وسلمها وعينيه يُنظران بعمق شديد لا ترى فيهما سوى الفضول لمعرفه محتوى الرسالة ،أغلقت الباب في وجهه بكل هدوء ووضعت تلك الرسالة عند المدخل وعادت لنومها.

أتى الليل فوجدت الرسالة عن طريق الصدفة ففتحها من باب الفضول فوجدت:

لم يكن الأمر المخطط له قد مشى وفق الخطة

ولم تُحل الأمور، هي لم تسامحني بعد اقترافي

كل الذنوب بحقها عن طريق الحب الزائد

لقد كرهتني وانتهى الأمر!

وُجدت هذه الرسالة في الجيب الخلفي لشخصٍ قد شنق نفسه في سقف حائطه مع العنوان وكانت أخر وصاياه إيصالها. فعاند الرب وخُلد في الجحيم ولم تصلِّ الكنيسة عليه رغم ضجيج أجراسها صباحاً وطُبقت وصيته على أتم وجه.

أعترف اليوم بين السطور، عن هزائمي المتتالية التي لم تصبر عليّ حتى أخذ تنهيدة على الأقل!

حتى أمسح عرق جبيني من الركض الفاشل،

حتى أُعيد القليل من الواقعية الى عقلي الذي يُلهمني بأوهامٍ

سرابية لا تُغنِ من الجوع سوى كمُضغة الخبز دون البلع!

حلمتُ وحلمت،

وبعد هل تحقق الحلم؟

لا، كان مجرد غفوة وبعد استيقاظي أصطدم بالواقع المُرّ.

ركضتُ وركضت،

حسناً هل أخذت استراحة؟

لا، لم أسترح من تلقاء نفسي؛بل سقطت على وجهي بعد تعثري. وليس هذا فقط،مع كل عثرة انتكاسة صدمة جديدة تزيد من الطين سواداً ليس إلّا.

ماذا يُفيد كل هذا الكلام؟

لا يُفيد شيئاً سوى تذكري لشبح أحلامي التي تلاشت رويداً رويداً ترمقني بنظرة المُقصّر، وأنا الذي ذرفت دموعي ودمائي!

يُحسن الفرار عند حرّ القتال، لكن ما فائدة الفرار عند الطريق الملتوي؟

تُقطع أنفاسك، يُنهش قلبك، تسقط ركبتك فتأخذ مكان مشط القدم فلا تستطيع السير.

يضيق هوائك فتتنفس دخاناً خرج من العدم او بالأحرى من عرق ركضك الفاشل الى النهاية التي لا تُنهيك تعباً لا طريقاً ،عُد للحرب سوف تُقتل!

أخر ما كتبه أحد الجنود الهاربين من حرب طروادة.

رياضياً حجم المسافة المقطوعة أكبر من حجم المسافة المتبقية!

حسناً لماذا توقفت؟

لا أفهم كيف توقفت وتثبطت عزيمتي ولا أعرف كم المسافة المتبقية ولكن حدسي من يلعب دور العالم.

منذ الأزل وأنا أسمع عن الخطوة الأخيرة وأن هذه الخطوة هي التي تُنسيك فاجعة الطريق الذي اجتزته لكن قبل أن أخطو هذه الخطوة كُسرت قدمي حتى أتأخر وأعود للمصارعة في طريقٍ أخر تحت عنوان الخطوة الأخيرة!

لا أعرف الكثير من المعلومات، وأفتقد للكثير من الأشياء التي تجعلني مثالياً، ولا أبرع بفعل أشياء كثيرة يُعتقد بإنها أدمث من التنفس في حالات عدم الرشح، لكنّي أعرف أنكِ أجمل إنسان بهذه الدنيا، وتصل رغبة الرغبة الى حد الإشباع.

ازدان قلبي ببريق الأمل الذي ينبعث من تباشير وجهك الناصع، يغدو قلبي الفرات في الفيضان حضرة حضورك الزاهي، وتواجدك معي وقت الصراع، والحدة، وتكتّم السدف في رأسي.

قيح الأيام ينظفه شجون صوتك لحظه تكتله وزيادة وزنه.

مددت لكِ قلبي بشتى قواسم الفروع.

يشدو الفرح في بطحاء القلوب، ذلك الحقل الوسيع كثير الكلأ والينابيع يتجدد بصيرورةٍ ثابتة حتى يُحافظ على من يُسامره لحظة تحملق أنين السكوت.

الكلام، والسلام، والزحام، والأحكام، والأقلام تبعثرت لحظة وجودك.

الشرود، والرعود، والحدود، والندود صببت شرراً وفُتحت لأجلك.

العطف ،و الحتف، والظرف، والجُرف اذا اتت أولا شرّد الباقي بسلام ما قبل سطرٍ بعد كلمة الكلام.

يُمنة السعد، عند صوت الرعد، بين مُقل الوعد أظفر أنا بالفوز.

كلماتي تجردت عن محتواها، ليس لي الجُرئة لأوصف من أنتِ هُنا لكنّي أؤمن بك!

**

بين دفاتر الإجابة أُلملم الصفحات التي مزقتها، ونثرتها على الطاولة، والأرض ،والسرير.

بين اسطوانات الأغاني ومشغل الصوت أستمع الى الأغاني نفسها دون كللٍ او ملل وكأني اسمعها للوهلة الأولى.

لم أُصدق أن كل ما بعثرته من أوراق كانت رسائل للكِ،

رسائل حب تجمع علاقتي بك.

لم أصدق أنكِ أستطعتي خيانتي، ولم أصدق جُرم الفعل بعد فقد الدليل.

لطالما كنتِ مكان الثقة، والبيت الآمن الذي يُشعرني بالقوة لحظة زعزعتي، ورعشة قدمي.

لا زلت أُفكر كيف استطعتي نقض قولك؟

أحببتك من كل قلبي حتى سدف ليلي عابساً يرجو مني أن لا أفكر بكِ مرة أخرى، لكن لا أستطيع.

كيف لكِ أن تتراجعي بعد أن أعطيتك الثقة، وبادلتك كلمة أثق بكِ كيف لا؟ وانتِ التي كنتِ توعزيني بإنك لن تخوني علاقتنا التي بدت قوية بالبداية، وأنكِ لن تتركيني، ومن المحال أن تتراجعي في قولك وتنقضي المعاهدة بيننا.

حقيقةً لم أصدق كيف استطعتي خيانتي وتركي وحيداً بعد أن وجدتني نائما مع صديقتيكي على سريرك!

في طريقي الى المنزل، وجدت شاباً شبيه الإسم اختلاف الشكل جرّده الحب من عقله ،ذهب يُفكر بالصدفة التي جمعته مع حبيبته بعد غياب أربع سنوات، وثلاثة أشهر، وأربعة أيام، وست ساعات في إحدى الأسواق تحمل طفلاً شبيه إسمينا.

وجدت أباً رُزق بطفل بعد صبرٍ دام لثلاثة عشر عاماً، وتسعة شهور، ونصف ساعة ثم دخل في سباتٍ أبدي بعدها بيومين وكساه التراب.

وجدت طالباً يحمل شهادة الدكتوراة في القانون لا زال يمكث في البيت منذ سبع سنوات، وشهر، وخمسة أيام يُقطع شهادته حتى يصنع منها مناديل ليمسح عرقه وهو يعمل في الإسمنت.

وجدت طفلاً يبيع "العلكة" عند الرصيف بعد انفصال أمه عن أبيه قبل سنتين، وسبع ساعات.

وجدت عجوزاً ينام في الزقاق بعد أن خسر جميع أولاده وماله قبل أربعين عاماً، وخمس دقائق.

أين الذين حالفهم الحظ؟

أين الشاب الذي تزوج حبيبته في غير مشهد درامي؟

أين الأب الذي رُزق بطفل ولا زال يعلمه نطق إسم "بابا"؟

أين الطالب الذي تخرج بشهادته وذهب يعمل بها بتقدير؟

أين الطفل الذي ينام بين أبويه في هدوءٍ وسكينة؟

أين العجوز الذي يسكن مع أولاده وأولادهم تحت سقفٍ واحد؟

هل هؤلاء يخرجون في النهار فقط؟

أم هؤلاء مجرد صورة تُغطي جميع الأورام التي لحقت المجتمع بعد أن ظهرت ليلاً؟

**

يحتاج الإنسان الى من يخبره أنه يحبه، يقدّره، أو على الأقل يتمنى له الخير حتى يستطيع المُضي قدماً، حتى تتجدد طاقته الكمينة وتتحرر، حتى ينسى أنه وحيد في خراب هذا العالم.

يدّعي الإنسان القوة، يكذب كل من يقول: أنه لا يهتم بالآراء

في حين آراء الأشخاص هي من تصنع شخصية الفرد.

اسمع نفسك قبل أن تُصدر الكلام على مسامع الملأ، لا تكن فظاً، حاول أن تُفرح القلوب ولا تنس أنك ستفرح قبلهم .

يحتاج الإنسان حتى ولو كان قوياً الى العزم للاستمرار، لذلك لابد له أن ينشر كلماته الطيبة وأن يسمع ما يحتاج له من عبق الكلام.

لا زلت أُناظر يدي المرتجفة بكل برود، رغم صهير عرقي الذي أحرق ما تبقى لدي من ملامح.

كان مبلغاً هائلاً لم أرَ مثله في يدي قبل اليوم، كنت أشبه بمليونير يحمل ثلاثة آلاف دينار بعد ست سنوات عمل دون التفريط بقرش واحد.

ذهبت وفي يدي كسر ظهري، تعب جسدي، أرق عيني، رطوبة عرقي، وحريتي؛ حتى أطلب يدها كما وعدتها ذات يوم.

لم أتخيل نفسي في موقعي هذا، ولم أتخيل مبادرته بالموافقة حينما قال: صدقت وعدتك وأتيت لطلب ابنتي، لطالما أصابني الفضول لأعلم من هو صاحب قهقهاتها في الثلاثة صباحاً.

غمغت باللعنة، لقد تأخر الوقت موعد نومي في الثامنة!

عادت وحشية المكان الى ما هي عليه، عادت نفسي تضطرب كما كانت، غيهب الليل بسلاسة وتفرّد، وجاء كل مرفوض ليفرض نفسه.

هنا إنسان يصرخ، يُعذب، يُحرق حيًّ، يُنهش جلده من ثرثرة الأفكار.

هنا كائن حيّ يُستهان في حقه! يبحث عن قانون واحد يُعيد له ما تبقى من سعادة.

هنا بشريٌ يُطمس، أين الرحمة من فكرٍ أثقل كهل الجسد؟

هنا مجهول يُعاني! اين نشرة الأخبار من خبرٍ عاجل؟

هنا قاتل وقتيل ينزف بكل رضخ، سجّان وسجين يعدّ ساعات الليل في عزلة وتوحد، هنا إنسان يصرخ ولا أحد يسمعه.

التاسعة والنصف ليلاً

بين حارات مصر الخربة عند شارع "طلبة عويضة"

كنت اتجرد من خوف المكان الذي ضرب بسمعته كل الناس حتى لا يمر أحد منه.

ضربني فضولي لأعبر تلك العزب القذرة بسمعة أفعالها،

مشيت وانا اتوجس وانتفض في كل خطوة حتى وصولي للشارع الرئيسي عند مكتبة "عصير الكتب" حينها جاءني الاطمئنان وقررت الدخول لأرى الجديد.

كان عامل المكتبة يمسح الغبار عن رواية مترجمة للانجليزية كان قد نسي أنها موجودة،

أمسكت الرواية

كانت الرواية الألمانية المشهورة "الأخوة السود"

أو كما تعرف عند لغة سبيستون "عهد الأصدقاء"

كان تحكي عن قصة هذا الشاب الصغير الذي لم يتجاوز الحادية عشرة كيف سافر من بعيد سويسرا الى ميلانو الايطالية حتى يتسخ بالمداخن بعد أن كان يحاول جمع المال لسد دين والده.

أحداث كثيرة علمنا من خلالها "روميو" _بطل القصة_ أن الأيام والعمر والمصاعب والحياة والظروف مهما تكالبت لا بد وأن يخرج بصيص أمل بسيط يبني ما تهدم.

أن المحاربة والعيش هي أساس كل شيء

أن الشغف والفكرة تتجدد كل يوم حتى لو غابت الأفكار أن النور يدخل حتى لو ضاقت سراديب الحياة.

**

علمنا روميو أن الظروف لا بد وأن نتشاركها مع صديق وأصدقاء مع أناس حقيقون يشاركونك الهزيمة والنجاح تتكئون من خلالها على أكتاف بعضكم بعضاً.

في النهاية ذكرتني تلك الرواية بالكثير من الأشياء وبالطفولة وكيف مر الوقت علينا حتى أصبحنا كباراً نحاول بناء مجتمع قاسٍ مثلما كانت ميلانو ذات يوم ومثلما كانت تريد الكاتبة ذات ليلة من ليالي 1995م.

**

الرابعة صباحاً

عدت الى فراشي بعد جلسة حوارية معمقة مع أحد أصدقائي.

أخبرني عن صعوبة اتخاذ القرار، وكيف يعيش بالوهم بين نزاع شخصياته الداخلية.

لأول مرة في حياتي أتقمص دور الفيلسوف أو الطبيب النفسي،

اذ أخبرته

عليك أن تعي بأن ما يصيبك من وجس من التفكير يصيب كل الكائنات من حولك.

كل إنسان يتسائل ويحاسب نفسه كلنا نعود لأفعالنا التي قمنا بها ونندم ثم نمثل على أنفسنا أن ما قمنا به أمر عادي لهذا يؤثر الفعل علينا في المستقبل فتتنازع خلاياك الداخلية.

سألني عندها

الا يعد هذا انفصاماً؟

أخبرته أن الانفصام لا يأتي مع اتخاذ القرار

لكن الخوف هو من يلعب دور شخص أخر فيك

يلعب دور المحذر بأن لا تخطو

لكن اعلم أن الحياة تمشي ومن دون مغامرة لا تستطيع المضي!

أيَّ ما تفكر وأيَّ ما تغدو بتفكيرك وتفاصيل التفكير

لا بد وأن تستطيع ادراك حاضرك ومستقبلك

أن تتحكم في شخصيتك حتى لا تضعف ويصيبها الندم

أعيدها لك لا أحد يعاني من الانفصام كل هذا بسبب الندم على أشياء فعلناها ومثلنا أن الموقف انتهى

لكن أثر الموقف يمتد للندم والخوف مستقبلاً
لهذا عليك المضي والمضي دوماً دون توجس ورهب
وأن تتحمل النتائج إما بالمكافأة أو العتاب الحقيقي دون تمثيل.....
**

لدي صديق

وقد يبدو الأمر غريباً وتافهاً لا يجذب

لديك صديق؟

حقاً؟

كنا نخطط للقاء كل ليلة عند التاسعة ما بعد العشاء نذهب للجلوس في إحدى المقاهي الشعبية أو نتمشى بين سرمديه الشوارع ودمس المكان.

كان صديقي _الغير مهم_ يعلم أن الحياة عصفت بي يميناً ويساراً يعرف أنني خارج من معركة ملحمية كانت تحاول من خلالها الحياة فقء عيني وتشريدي بين الهناك والهنا.

يربت على كتفي يمسح عرقي الذي نُز من الجري خلف الطرقات الخاذلة يخبرني أننا خلقنا ليمتحن الله قلوبنا التي ذوت من صديد الحياة الفاسدة لكن علينا التحمل وما دمنا نستطيع التحمل نستطيع المقارعة، كان يذكرني برحمة الله التي كان يقول فيها أن ربك لن يرميك في مكان لا تستطيع احتمال ظروفه بل وضعك بقدرك من السعة والتنهيد.

يرفع رأسي بيده ويبتسم يخبرني أن الألم زائل وما دمت في مرحلة الشباب عليك أن تستمتع بكل معركة تختار أن تكون بها نداً للحياة.

لا زلنا بمرحلة الشباب يا سامر يقول عليك المضي والتقدم عليك أن تجعل من كل ذرة استنزاف و"مرمطة" قصة جيدة وخبرة أخرى للمراحل الأقوى وكان يضرب لي مثل أن من كان عمره بالخمسين يناظر صاحب العشرين بصغر لأنه لا يملك قدر سلسلته من الخسائر.

ذات ليلة سمعت اسمه على منابر الجامع تفيد بخبر وفاته لم أصدق أن صديقي قد مات!

ومن لايعرف صديقي كان بشوشاً جميلاً احتل "السرطان" جسده منذ سنوات وهو يحارب بابتسامته وببث الأمل في نفسي انا لا هو، كنت كلما أخبرته بمرضه ابتسم وقال: أنه مجرد زكام مع أعراض أشد.

وجدت رسالة له قبل ساعات من وفاته

"ابتسم يا صديقي فأنا خارج من الحياة وخرجت منها بك"

أعلم أنه لن يسمعني ولكن اعمل بوصيته كل يوم وعندما أخرج ذات ليلة سأخرج به أيضاً.

لا يفصلنا شيء..

سوى تجهيز نفسي في خمس عشرة دقيقة

وبحر طويل

وشارع مستقيم طوله خمسين كيلومتر

وأربعة منعطفات

وثلاث حفر

وتسعة وثلاثين "مطب"

وباب بيتكم

وعناد والدتك

وقلب رحل ولم يعد يريدني

وتجمعنا سماء

وصورة

ولقطة شاشة أخذتها من قصة لك

وكرهنا لي....

**

كنت من أولئك الأشخاص

الذين يندمون بسرعة على قراراتهم عند اتخاذها، الذين يغيرون الإجابة في أخر دقيقة من الامتحان.

كنت من هؤلاء الذين يتفقدون جيوبهم كلما وضعوا بها شيئاً كل دقيقة حتى يشعروا بالاطمئنان، يفرغ حقيبته ويرتبها من جديد ليتأكد أنه لم يفقد شيئاً.

لم أمانع الانتظار في الدور العام ولم أكن أتحدث عندما يختار لي الحلاق تسريحة أخرى..

كنت أحادي اللون اتمتع بالابيض والأسود أحس بأني رسمة ذو بعد واحد.

كان علي أن اتجرد من شخصيتي تلك أو أن اعتاد على الأمر فكرت جيداً حينها علي أن اعتاد على الأمر.

بعد نوم دام لأربع عشرة ساعة

وبعد عشر ساعات يسمع نفس الأغنية على الهاتف..... خرج التقى بأشباهها الأربعين_أو التقاها هي دون أن يعرف_

عاد للمنزل، أمسك الهاتف مسرعاً

ثم كتب تعليقاً على فيديو الأغنية _التي كان يسمعها_

كانت تحب سماع صوتك وكنا دائماً نستمع لأغانيك سوياً

الآن

هي لا زالت تحب أغانيك، لكن لم تعدْ تسمعها معي.....

تاه في حياته وهو يبحث على من يحتسي معه كوباً من الشاي.
لم تكن فكرة كوب الشاي مقلقة على قدر الوصول الى الرفيق والصاحب الونيس والأمان.
كان يدرك بعقله البشري ذاك أن الوحدة والانعزال لم يكونا يوماً فكرة جيدة.
كان يدرك أن مواجهة التيار يكمن بالدفع والمؤازرة ،بالكلمة وشحن العواطف والنفس.
مهما بلغ الانسان إلّا أنه إنسان!
تحركه كلمة مع الريح يؤثر به الكتف الذي يتكئ عليه تستقطبه مجموعة مشاعر صادقة لأحد صادق.
تكمن أهمية الانسان بحجم الانتباه والاهتمام الذي يتلقاه من الغير وفي الحقيقة لم يخرج أحد حارب حياة كاملة بمفرده لا بد وأن يكون هناك بطل سري يعطيه القليل من القوة.
خلق الله تعالى لأدم حواء حتى لا يشعر بالغرابة في حياته المرفهة ،رغم أنها بالجنة!
رسالة الله تلك أخبرت على أن لا يبقى بشرياً وحده.
محمد ابن عبدالله خرج ذات يوم يصدح بدين جديد سعى لأن يبعد قريشاً عن فتنتها حتى حاربوه الناس.
وقفت خديجة أعانت ،أعطت وساهمت حتى عاش النبي وهو يروي كيف بدأ الدين من دعم إنسان لحظة الصرع يوم لقاء جبريل الأول الى لحظة الأذى والأذى!
دائماً ما يحتاج الإنسان الى الإنسان حتى أشد الناس فتكاً وطغيانية هم أكثر من يحتاج الى وجود إنسان يثقون بهم.
راح عجوزنا ذاك يحلم بنهاية سعيدة يربت فيها على كتفه وحيداً وهو يبحث ويبحث حتى شرب كوب الشاي وحده بارداً دون أي أحد.
**

رويدً رويدًا
قالها الساعي بين خيباته،ِ
الماشي بين َشوارعِ المدينة،ِ
الرَّاكب في الحافـِلة،ِ
الواضعُ رأسَهُ ناحيةَ النَّافذةِ
رويدًارويدًا...سئمنا تحملُ َق النُّورِ بين َأرجاءِ العتمة.
هذا الطّريقُ طويل ،هذا العُمْرُ قصير ،
والجسدُ نحيل....
هذا المكانُ موحشٌ لا ضوء َفيه ،
وهذا البردُ قارسٌ لا دِفـْء فيه ،
وذاك يمشي بين تعثـُّراته ِبدمٍ بارد،ٍ
والآخرُ يركضُ بين ظُلمات ِالغابة
رويدًا رويدًا
ذاك يبيع ،ُوهذا يشتري ،ذاك يضحكُ والآخرُ يعبس.ُ
أحدُهم مع جماعته ،ِوالآخرُ وحدَه.ُ
هذا النّظامُ غريب!
رويدًا أيُّها السَّائق ،ُسئمتُ المكان..
أن أهرب َبين َعوالمي إلى شقائق ِالنّسيان...
أعومُ في تفاصيل ِالرّواية ِخلف َالجُدران...
رويدًا إن ْسمحت...َ
أنزلني هُنا
لم أعد أحتمِلُ كُلَّ هذا وذاك...

وحدة ، ظلام، وغرفة مغلقة
في الطابق الثالث لعمارة خربة
وأرض بعيدة عنك
وسماء تجمع بيني وبينك
وبحر وسفينة
وامتداد قارتين
بين وسط ثمانية ملايين
مصطفين كالدومينو
فوق بعضهم وبين الجوانب
يحشرونني من كل زاوية
وفارق ساعة من التوقيت
ودرجة حرارة
وارتفاع ارض
ولهجة
وحبكة درامية
وبعد بالأشبار
ومقاييس بالظروف
ومغامرات لكل واحد منا
ووجوه غريبة تختلف
ومواصلات تقود لطرق مختلفة
وحارات وقرى
يبعدني عنك الطرق وكل شيء
لا يجمعنا شيء
حتى السماء التي قلت عنها
تفضي الى القطع ليحين البعد
ولكن
تجمعنا صورة
أرسلت قبل وقت

لتصبح على هاتفي
ثم تسرق تفاصيل الوحدة
وتكسر حاجز الصمت
بين غريزتي بك وحبي لك
تفضي عذوبتها الى الشاعرية
الى مكان أنقى من كل هذا
الى وسط رقصة سماوية
تجمعني بك حال رؤيتها
كهبوب ريح تخيلتها
بين حشرة ناس وشمس حارقة
تراقصني الصورة
تمسك يدي لحظة الضعف
تربت على كتفي لحظات الوحدة
تغطيني كي لا ابرد
تكسيني حتى لا أعرى
تطمئنني دائماً
تبقى معي
اعز اصدقائي
هي
تفاصيل الصورة
شعوب اقبعت فوضوية الشعب
الذي اعيش معه
صاحبة الصورة
رفيقة البعد رغم البعد
وقريبة القلب رغم البعد
ذات شعر
كثيف طويل
وعيون

توضع حد السيف لحظات القتال
تقتل قائد الجيش
الجنود
وتنكس السواري
وتدمي الاحصنة
ذات خدود
جليدية الملمس
لا مرئية المرئ
صديقة العمر
اعز اصدقائي
تجمعني بها صورة
على هاتفي
كانت قد التقطتها
قبل وقت
حتى تحتضنني
من سرداب الزمان
صورة وتفاصيل
أعز اصدقائي
لشخص
هو أقرب بعيد عن عيني

كتب أحد الشخصيات التي تسكن داخل عقلي ذات يوم:
كنت أريد لو أكون مبرمجاً
لما جار علي الزمان هكذا حتى أكون استاذ مدرسة؟ لازلت احاول اقناع نفسي بالحياة
الأن
انا احاول اقناع اربعين طالباً معيكتب أحد الشخصيات التي تسكن داخل عقلي ذات يوم:
كنت أريد لو أكون مبرمجاً
لما جار علي الزمان هكذا حتى أكون استاذ مدرسة؟ لازلت احاول اقناع نفسي بالحياة
الأن
انا احاول اقناع اربعين طالباً معي
**

لم يعرف تورينتو سيجاناما طعم الراحة في بعده البصري قط.
كان يبحث عن التمييز في كل شيء وخاصة فيما اذا كان الأمر يتعلق بسيري جين هذه الفتاة التي تربط بينهما علاقة حب جميلة يفصله بعد المسافة عنهما.
كم كان معاتبا قاسيا لا يعفو عن تلك الأشياء التي لا يلتفت اليها أحد عن تلك التفاصيل التافهة التي كانت بنظرة بعداً أخر يفتح حقبة ومكان بعيداً عن العالم نحو مخيلته.
كانت سيري ترسل رسائلها له ثم تضع صورتها في الطبعة الخارجية جانب العنوان عند الاسم حتى يراها سيجاناما حال استلام الرسالة
كانت تكن له الكثير من الحب ربما، خصوصا وقت الشدة
لكن سيجاناما يمزق تلك الصورة في احشائه حال وصولها ويكتب قائلاً ما فائدة رؤيتك ولقد راها قبلي بائع الطابعات وصاحب مكتب البريد وساعي البريد
لما احمل صورة تكون على مرئ الجميع
ما فائدة وجودها في جيبي وانت تضعينها كقصاصة ورق على غلاف قصصك المصورة.
كان يعتقد بعيدا عن موضع الصورة فتح الموضوع وكيفية الطرح اذا انه يقضي الساعات وهو يفكر بطرق موضوع عن تفكير ليجمع التشابهة الفكري بينهما
كان يحفظ قصاصات الورق اعلانات الجريدة وأخبار الحارة التي يسكن فيها
ليتسنى أن يبدأ معها بالخبر ثم يتبادلان أطراف النقاش قصاصات الجرائد اعلانات الأحذية ثم الحب لكن دائما ما كان من امر معيق.
بيجاناما كان يهتم بتفاصيل غريبة لكنه كان يحس أن حبيبته لا تتكلم الا كلمة وان طال سكوته لا تفتح موضوعا ترى فيه شفتاه تتحرك.

قصتهما كانت غريبة وقاسية
غريبة وقاسية بكل الأحوال

كان الفريد ستيفانو سان يعرف أن التفكير ليس لصالحه.
قضى ليلته الأخيرة في إحدى الحانات يتجرع الألم حتى قُضي عليه.
وعندما نقلوه الى المشفى لمعالجته كان يهذي بكلام غريب أثر به أكثر من السم الذي كان يشربه.
كانت بيريرا سولف فاتنة فتاة تبلغ الثالثة والعشرين من عمرها تبحث عن شخص يشبه روحها.
التقت سولف بالفريد في إحدى الحفلات الأسبوعية عند مقهى ١٩٣٠ في الشارع المؤدي الى البلدية.
لم يتمالك الفريد نفسه يومها وعمل المستحيل حتى تنظر اليه تلك الليلة وهذا ما حدث في نهاية المطاف.
كبرت تلك الليلة وأصبحت قصة حب تحكي عن ثنائي جميل يجمع مابين الفريد وسولف.
مر الوقت كثيرا على العاشق الفريد ليطلب من الرب العطاء ولكنه تفاجئ بإثم الخيانة التي قامت بها سولف
حتى غاب عن دينه وعقله
واليوم الفريد يصارع الموت تحت حكم الانتحار ليقابل الرب بجريمة سببها خيانة .... الفريد ستيفانو سان يعرف أن التفكير ليس لصالحه.
قضى ليلته الأخيرة في إحدى الحانات يتجرع الألم حتى قُضي عليه.
وعندما نقلوه الى المشفى لمعالجته كان يهذي بكلام غريب أثر به أكثر من السم الذي كان يشربه.
كانت بيريرا سولف فاتنة فتاة تبلغ الثالثة والعشرين من عمرها تبحث عن شخص يشبه روحها.
التقت سولف بالفريد في إحدى الحفلات الأسبوعية عند مقهى ١٩٣٠ في الشارع المؤدي الى البلدية.
لم يتمالك الفريد نفسه يومها وعمل المستحيل حتى تنظر اليه تلك

الليلة وهذا ما حدث في نهاية المطاف.
كبرت تلك الليلة وأصبحت قصة حب تحكي عن ثنائي جميل يجمع مابين الفريد وسولف.
مر الوقت كثيرا على العاشق الفريد ليطلب من الرب العطاء ولكنه تفاجئ بإثم الخيانة التي قامت بها سولف
حتى غاب عن دينه وعقله
واليوم الفريد يصارع الموت تحت حكم الانتحار ليقابل الرب بجريمة سببها خيانة ....

كان يحاول اقتلاع قلبه ليتسنى له النسيان

كانت تخيفه الذكريات ويقتله الحنين

لا أحد هنا لا أحد يعرف معنى أن تحاول اقتلاع قلبك

تلاشى كل شيء

كل شيء تبخر

ذهب سدا

الذكريات تخنق

هو الأن مضطرب

يناظر الوقت فقط

حتى يكمل يومه بأقل الخسائر

**

في منتصف المدينة أمام مطعم " كرشتك بتستاهل" بجانب السور المكتوب عليه "سلمى حياتي بدونك ضياع" يجلس "قويدر".

وهو رجل طاعن في الأيام افترسته الوحدة وراح نصف عمره جالساً دون اكتراث أحد.

كان الحاج " قويدر" ذاك غريب الملامح ممزق الملابس كثيف الشعر نتن الرائحة لا يتكلم ولا يطلب المساعدة ولا يريد من يعطف عليه.

لم أفهم هذا الرجل الذي بلغ السبعين من عمره صاحب المنظر الغريب والمواصفات التي تكلمت عنها، لكنه كان يأخذ نصف وقتي وأنا أفكر بحالته المتردية التي آلت الى البؤس والتوحد داخل شارع يزدحمه الناس.

كان فضولي يجبرني على معرفة هذا الرجل ولكنه لم يسمح لي بقول مرحبا على الأقل.

كان أسلوبه العنيف ووجهه المتجهم الذي يحمل أطنان البؤس يحول بيني وبين رده علي أو التكلم معه بأي موضوع أخر.

حتى قررت زيارته في الليل عندما كان نائماً متكشفاً معزولاً يبين على جسده طعنات الزمان القاتلة التي لم تصبر عليه ليأخذ قسطاً من الراحة.

ذهبت وجلست، أحس علي فتح عينيه دون أن يظهر لي أنه مستيقظ وذهب يراقبني بصبرٍ نافد يريد رحيلي بأي طريقة.

لم ألقي بالاً لتجهمه ذاك كما جرت العادة بل التفت له وقلت: ما بال الحياة تأكل الإنسان ليلاً ثم تربت على بقايا جسده للاستمرار بالسعي خلف الطرقات البائسة؟

لم يعطي بالاً لكلامي حتى نهض وجلس تنهد طويلاً ثم قال: نحن عبيد للحياة ندعي القوة والبأس رغم رسمنا للابتسامة بقلم رصاص ندعي مكرنا على الحياة رغم كشفها لأسرارنا وبساطتنا الفاشلة.

نظرت له وأنا أحس بالانتصار، وأخيراً تكلمت أيها العجوز؟

كان كلامه القليل ذاك يفصح عن سؤال جال في خاطري منذ القدم هذا السؤال الذي رافقني أغلب حياتي رفقة السؤال عن هذا الرجل.

ابتسم هذا الرجل بأسنانه الصفراء المتسوسة ورمقني بنظرة غريبة لم أفهمها قط.

سألته سؤالاً اخر لعلي أحظى بسماع صوته أخرى، قلت له: لما تجلس هنا؟

رد بكل سرعة وبساطة:

ما بين ماضٍ مضطرب ومستقبل مجهول وحاضر مهمش يقبع إنسان يعذب يحتسي البؤس رشفة رشفة يعاني من خدوش الزمان.

يعلن استسلامه أمام الحياة يجلس على رصيف العمر حتى آوان الأجل.

يناظر يده المرتجفة بكل برود يريد قطعها!

يحاول قطع يده التي لطالما لطمت على وجهه لحظات الندم مسحت عرق جبينه تحت الشمس أوقفت نزيف عينيه من دمع نز.

يفكر بقلع مقلتيه كما لو كانتا الملامتان لتطلعه للمستقبل!

كما لو تستفزانه لمناظرة خدوش يده، كما لو أراد الانتقام لسراب الرؤية أمامه.

_ لا أفهم أرجوك أن توضح

_ ليس من المشروط الفهم ركز في تفاصيل هذه العبارة لتصل الى فضيلة الفكرة.

تأتي الفكرة بعد تحملق الذهن في جرف المعنى عليك دائماً العوم بين التفاصيل حتى تستطيع المضي دون خداع.

_ وما دخل التفاصيل بهذه العبارات الهيروغليفية؟

_التفاصيل هي كل شيء أيها الشاب عليك دائما أن تتمتع بنظرة ثاقبة اتجاه كل شيء في الحياة.

أتعلم شيئاً لربما التفاصيل تقودك نحو اضطراب ذهني يجعلك تبتعد عن زيف البشر المخفي.

_ ألا يعد هذا تناقضاً أن نطرح الشتائم على الحياة ثم كلمات غير مفهومة والأن البشر؟

_ يا بني، عندما تركز في تفاصيل الحياة تكتشف البشر وعند التركيز على تفاصيل البشر ستكتشف العجب.

البشر لا يريدون من يكشف ضمائرهم السوداء بكل حكمة بل يبحثون عن تزييف التعامل في تكلف الأمور ليبحثوا عن نهز الفرصة للربط بين أخذ المصلحة وهلاك النفس المقابلة.

يمتلك كل منهم سرداباً لا يرادف وجه الممثل الذي يبتسم في وجهك.

يدعون الإهانة من الحياة رغم رسمهم الشيطاني لتلوث الأرض.

_مهلاً علي لا أفهم!

عندما تقرع طبول الحقيقة ويمقتك الشك داخل باطنك تدرك أن المعاني كثيرة والفهم قليل.

يا بني سأختصر عليك

لا بد وتفكك الخير يعيش الإنسان في رغبة جامحة على القتل وأخذ الانتقام ولكن هل تسنح الفرصة في تلبية الغريزة الشيطانية التي تتلف من تآكل الموت في جسم الخلاص؟

القتل نشوة إنسانية توجد داخل كل من يعيش على هذه الأرض المحتلة ولكنها شر ولا بد من نزعة الشر أن تحضر عند إبان المتاهات قبيل النفق عند نور النهاية.

وفي الحقيقة لولا النشوة ايضاً لما تكاثر الإنسان من بعد الخطيئة الكبرى عند الشجرة المحرمة.

ولولا النشوة مجدداً قبيل اكتشاف الطبيعة البشرية جسدت الجريمة الأولى عقلية الإنسان.

يا بني، هناك مئات المعاني عن تفاصيل النفس والإنسان لا يمكن أن ألخصها في ليلة واحدة ويبقى السر لاحقاً حتى أكشفه لك ثم ما الذي يثبت لي بأنك تنصت لي؟

_ والله لا أفهم أي شيء

_أحياناً من الجيد أن لا تفهم لأنك لو فهمت لكنت زميل سكني على هذا الرصيف وسينتهي بك الأمر مثلي تحاول قطع يدك كما اخبرتك سابقاً.

_ ماذا جرى لك لتعيش هكذا يا عم؟

_ في الحقيقة يا بني يعيش الإنسان ثلاثة ارباع حياته ينتظر الأمل أما الربع الأخير فهو سبب الانتظار.

_ شكرا لقضائي كل هذا الوقت معك لقد تأخر الوقت وأمي أهلكت الهاتف باتصالاتها سأعود غداً وأرجو أن يعم الود بيننا.

رحلت عن هذا العجوز المسمى "بقويدر" رغم أن اسمه الحقيقي كما أخبرني هو ادريس مصطفى حسين.

رحلت وانا أشعر بلذة الانتصار لأن ظنوني فيه لم تذهب سداً حيث قال مالم تقله البشرية من فترة.

اليوم تأكدت أن الحقيقة تكمن بين أفواه الغامضين.

وأنا في طريق العودة لم انتبه لشيء على قدر ما انتبهت الى فلسفة سقراط التي تقطن ما بين ملامح هذا العجوز.

سقراط او أعتبره معلمي الأول وقدوتي في هذه الحياة هذا الرجل الذي كان بنظر زوجته فاشلاً لا يؤمن لأهل بيته سوى الخبز دميم الوجه رث الثياب حافي القدمين كان عبئاً على جمال أثينا كما قيل عنه كان قبح وجهه يرى عن بعد ميل أما حكمته التي كانت تظهر عن بعد تشبيه الوجه أيضاً.

كان سقراط أول من عارض أثينا بشأن حقيقة الآلهة حتى اتهموه بالهرطقة أول من كشف النية السوداء لأشباه الفلاسفة الذين كانوا يرتزقون من افساد عقول الشباب حتى اتهموه بذلك اول من خاطب العقل والنفس كان هاوياً للحكمة يجادل الناس في أسواق أثينا باحثاً عن منافس يخبره عن حقيقة الشك التي كانت بنظره فضيلة وبقدرها تستطيع الوصول لفضيلة أعمق.

لطالما اتهم سقراط أثينا بالفساد حتى طرحته تحت ظل الحكم القسري بعد حرب اسبارطة لتنفيس غضبها بهذا الرجل الذي لا

يطيق الديموقراطية؛ لأن قيم الإنسان الداخلية قيم انحطاط تدور حول النشوة المطلقة.

حاربوا هذا الكائن الحقيقي في مجتمع مزين بتماثيل وملابس حريرية لتغطية العار الذي لحق بهشاشة معتقداتهم وأفكارهم رغم أنهم يعرفون عن الحروب التي لحقت بين الأب والأبن زيوس وكرونوس التي تجسد الجشع في كل شيء.

لم تدرك اثينا أنها خسرت للمرة الثانية الاولى بعد حرب اسبارطة والثانية بعد اعدامها لسقراط.

وبعد كل هذه السنوات التقي بعجوز خرف يعيش على رصيف الشارع يمتلك نفس الملامح والتفاصيل مع سقراط حقيقيون بوهن ملابسهم وجسدهم لا يعجبهم حقيقة البشر الفاسدة.

حل الصباح قمت من جديد لأرى ذاك العجوز ولم اجده مكانه غبت حتى منتصف النهار لأعود ولا اجده من جديد حتى همت على وجهي باحثاً عنه ليأتيني الجواب بإعدامه على يد بلدية المدينة لأنه افسد منظر الشارع عندما مر موكب إحدى المسؤولين ورأى ما رءاه.

لم تلتفت البلدية للاسم التافه للمطعم ولا لعبارة " سلمى حياتي بدونك ضياع" بل التفتت للشخص الحقيقي بين كل الوجوه المزيفة التي نلتقيها كل يوم .

اليوم خسرت المدينة رجلاً يبلغ السبعين من عمره كما بلغ سقراط وكما خسرت أثينا أيضاً.

ذهبت لأرى جثته كما اوصفوني وانا على الطريق كنت افكر في أخر لحظات سقراط عندما كانوا يريدون منه الهرب من الحكم لكنه أصر على كلامه لكريتو عندما قال "اكون بذلك قد وفرت حياة قد انتهت" وبعدها مات سقراط ليأتي بعدها هذا الرجل بالعديد من السنين ويموت بنفس الظروف وهو يحمل في يده ورقة مكتوب فيها مدجج بتفكير يخنقه الشجن أسحق بين عوالم الطبيعة أبحث عن ضالتي....

قصة بعنوان أصلع يرتدي قبعة

الساعة الثانية منتصف الليل

على رمق الوحدة وعدم الانصاف أكتب لك عني ...

يا صديقي، لا يقوى قلبي على تحمّل كل هذه التكاليف في آن واحد، أحس بأني دخلت محلا لا احتمل تكاليفه ولو أردت شرح مفهومي فأنا أقصد الحياة الى اليوم وأنا أجهل لما أنا هنا ...

غاب صوتك عني منذ رحيلك

كيف تجري معك الغربة؟ أهي جيدة من دوني ؟

لطالما قالوا أن الغربة غربة الوطن ولكن أخبرني، كيف نشعر بالاغتراب داخل أوطاننا ؟

كيف يقتحم شعور اللجوء داخل بلدك فكرك؟

لا تجري الأمور هنا جيدا لقد اغترب الناس وصاروا وحوشا أتذكر الأفلم التي كنت ترشحها لي نهاية كل أسبوع ؟

كلها شاهدتها ولكن على الحقيقة، لقد تحول الناس الى مخلوقات غريبة جاءت لتخريب الأرض.

يا صديقي، لم يعد الأمر مزحة الأمر جدّيٌ الى درجة العبوس أعاني من صراعات كثيرة لا أفهمها...

أعاني من اضطرابات غريبة ولو سألتني ما هي ؟ سأجيب بأني لا أعرف.

آلاف الافكار الكثير من التشكيك الوحدة وعدم الاكتراث.

لا أدري الى أين يقودني عقلي أحس بفوات الأوان على فرصة لا أعرف ما هي.

الكثير من التعب يحيط بي لم أدخل التخصص الذي أحبه ولم يفز فريقي بالدوري وعندي الكثير من الامتحانات لا أريد دراستها.

أحس بالوحدة ولو أنها تكررت كثيراا إلاّ أنها معبرة لم أجد من بعدك أحد أشكي له عن ما أمر أو أشعر به.

أحس بالخذلان من أحِدٍ لا أعرفه احتاج الى من أبكي على كتفه ويمسح دموعي بكل صدق.

يمر الليل بسنينه ومع كل أسى يقطن شعور الانفصام مخيلتي هل أبكي على ما جرى في يومي؟ أم على عدم وجود أحد أبكي له عن ما جرى؟

صدقني أنا لا أبالغ وأنت تعرفني لا أحب الدراما ولا أطيقها من الأساس ولكن تعبت حتى رضخت وجثثت على ركبتي كالأسير.

ليس لدي الكثير الكثير لأقوله وربما كلماتي أشدّ ضعفاا من جسدي الذي يبلغ وزنه نهاية الأربعين.

صحيح على ذكر الجسد، بات جسدي يرحل عني رويداا رويداا لم يعد يطيق التعذيب الذي امارسه علي ه

احرمه من الأكل والشراب أعنفه لحظات التفكّر لا أهتم بتغطيته.

اصبح متقشراا بالي ولو سألتني لما ترتدي ملبسك سأجيب

لا أرتديها لأخفي عورتي فقط بل لأخفي الطعنات التي لحقت بي من الأيام التي ثقلت على كاهلي.

ثمة مأساة داخلي موسيقى درامية أو قصيدة حزينة لشاعرٍ مجنون تزوجت حبيبته.

وعلى ذكر الحبيبة من جديد!

لقد هجرني الكائن الذي أحب ه، ذلك الشخص الذي كان يعيش معي تفاصيل يومي وربت على كتفي.

لا أعلم الى أين ذهب أرسلت الرسائل ولم يتكلفّ بالرد علي .

أيامي تزول مع مرورها سئمت من وضع الفرضيات والحجج بأن الغائب سيعود.

يا صديقي انا اتأفف واتنهد ماذا عساي أن أقول ؟ حتى أنت أجبني لماذا ذهبت عني أيضاا ؟ لما الكل يرحل عني ؟

لماذا يتركني الجميع في المنتصف ؟ بت أدرك أن لا مأوى لي في هذا العالم لا على الأرض ولا في قلب أحدهم.

انهار يومياا وبالتدريج بات من الصعب علي ان احتمل كل هذه الخسائر المتتالية.

دائماا ما كتبت على مواقع التواصل الاجتماعي " لا يمكن معنى إنسان أن يحتمل معنى حياة"

وفي الحقيقة لم أكن محقاا هكذا في حياتي.

وبعد كل هذا أعترف ان الحياة قد كشفتني على حقيقتي

سئمت من القوة التي اظهرها للمارة، سئمت من رسم ابتسامتي بقلم رصاص كل صباح.

احتاج دقيقة واحدة فقط للنهيار وأنا منذ مدة من الأن احاول تأخيرها.

يا صديقي ليست الأمور كما تبدو عليه أعاني من أثقال وأثقال...

وجهي شاحب وعيناي متكدرتان وجسدي نحيل والليل طويل.

أرى شعري المتقصف في المرآة وأرى الحبوب الي ملأت ملمحي حتى اختفت بالتدريج.

لو كنت ماهرا بالوصف لوصفت يا ليت لو كان بمقدوري ارسال دموعي أيضا.

الى حبيبتي الغالية:

مضى يومٌ كامل على غيابك عني، لقد اندثرت جميع تقاطيع وجهي لتتجد الى شرنقة أجلستني وحدي في مخيلتي، أعزلتني عن هذا العالم الضائع في وسط فكرٍ من التحديق في الأشياء التي تشُبه ملامحك.

أرجو أن لا تعنفيني ف أنا لا أقصد أن الأشياء هي التي تشُبه ملاكاً مثلك، لكن ألم تخبريني بانك تحُبين أن أشرح لكِ الكمين من الكلام ؟

سأشرح لكِ يا عزيزتي، من فرط الشوق الذي أصابني لحظة تكتم السدف وأنتِ غائب ة، ومن نقش صورتكِ التي لم أشُاهد شيئاً غيرها ليلة البارحة عند الانتظار، ومن كثرة التفكير بك، عقلي اضطرب ،وفقد عقله، فأصبحت أرى الأشياء أنتِ. أرُيد طرح السؤال مع علم الجواب، صغيرتي لا تعرف أني أواجه شرود هذا العالم المُشرّد بصورتها الصغيرة المُخبأة في جيبي ؟

مصدر قوتي، وسعادتي ،تفاؤل الروح عند تثبيط العزيمة.

ليختنق العالم في ظلام التارتاروس، ليتفتت في مُحيط العدم ،ليحترق بحرارة موسبلهايم التي أذابت جليد نيفلهايم لحظة تكوّن

الحياة، لا يهمني سوى أن تبقِ معي في أشدّ أوقات التعصب والضياع.

لا أصُدق كيف مرّ اليوم دونك، كان أشبه بتيار زمنٍ جارف أثار الساعة حتى باتت ترجع الى الخلف.

نسيت اخبارك لا تكترثِ للفقرة التي وُرد فيها لا يهمني شيء سوى أن تبقِ معي؛ لأنها الفلسفة التي حاولتِ قهرها في نفسي، ألم تخُبريني أنكِ تكرهين هذه الفلسفة؟ لطالما حاولتِ منعي عنها وعاندتينِ لأتركها، أرجو أن تأتي وتعُانديني.

طفلتي المدللة، كان علي اخبارك كم كنتِ جميلة، كم أنا أحُبك، كم يبدوا العالم جميل عند وجودك، ليتني استغللت وجودك حتى أنتهز فرصة الشبع منكِ قبل افتقادك، لم أكذب عندما كنت أقول لكِ : لا أستطيع المقاومة من دونك، وبالفعل لا أستطيع العيش من دونك.

لقد اشتقت لكِ، أنا لا أقصد ما جرى بيننا، ولن أسُامح نفسي على إثم الجُرم في حقك، كيف يمكنني أن أكسر قلباً كقلبك؟، وأ ضُيّع روحاً كروحك؟ ،

أنا وحدي هنا من دونكِ، أشتاق الى الطريق الذي جمعنا، الى رسائلك التي كانت تصنع يومي، وتعُطيني الطاقة العظيمة لكي أحرر كل مُستعمرٍ في العالم.

تعبت يداي من فرط الكتابة، تعب الدفتر من تمزيقالصفحات، سئمت القمامة من احتواء أفكاري الممزقة، لم أعد أعرف شيء لا أستطيع تجميع الأفكار في نصٍ واحد، ليس لدي ما اكتبه من اللغة، كل ما أعرفه هو أنيّ أحتاجك، تعالِ الي واخلقي النزاع، حاوريني كما لو كنت خائناً، اشتمِ لعدم اهتمامي بكِ لكن أرجوكِ أن تأتي.
أحبك....

الى صديقتي المفضلة:

مضى شهرٌ كامل ولم أسمع لك الحسيس!، مضى شهرٌ كامل عن أخر رسالةٌ لكِ لماذا لم تجُيبِ عليها؟ هل وص لتك من الأساس ؟

أ صُبت بالعمى وأنا أحُملق في هذا الطريق بانتظار ساعي البريد حاملاً رسالتكِ ل يعود بي الى الحياة.

الصبر قد يقتل أحياناً، وأنا أخاف أن يب ق الهواء في جسدك سبع ثوانٍ متتالي ة، أين أنتِ؟أرجوكِ أن تأتي.

نشّت عيني من عدم الرمش وأنا أنتظر ،تشتت ذهن عقلي بينك وبين الرسالة التي ظننت أنها وصلت ولم تصل.

أرمق نفسي بنظرة التحسّر كلما مررت من جانب المر آة، أنظر الى وجهي الشاحب وأحُس بالفراغ لا أرى سوى نصف وجهي أفتقد نصفي الأخر لأنكِ النصف .

سأم الانتظار يعصف، أشتاق لتعصّبك عليّ، لمشاكلنا التي تزيدنا تنهداً ثم نأتي الى بعضنا باشتياق وتزداد علاقتنا أكثر بعد المصالحة.

أرجو أن تأتي إليّ كما كنتي تأتين بعد مشكلتنا وتخبريننني باشتياقك الذي وصل عنان السما ء، ونعود أكثر قوة من قبل، مشكلتنا الأخيرة أخبرتني أنكِ ستأتي في الغد ل تتناسي المصيبة التي حلتّ بنا، ولا أعلم عن طبيعة التوقيت في كوكبك الأخر هل الدهر عندك يوم ؟

اذا قصدتي بذلك أن تعاقبيني فأنا أتوب كل يوم عنذنبي بحقك فلا تحرميني من كِ، ولا زال الربّ يغفر ليّ على كل ذنوبي حتى التي لم أرتكبها من كثر الاستغفار.

أرجو من كل قلبي أن تشفقي على قلبي الحزين، اختلف نبض ضخ الدم في مجرى جسدي، لقد تحطم الى نصفين، خذي قلبي بعيداً سأرسله مع هذه الرسالة من الأساس.

أصبح قلبي كوجهي عندما أنُاظر المرآة، أرجو أن ترجعي الى أول الرسالة لكي تعرفي صورتي الفنية جيداً .

بالحقيقة أتعلمين هذا القلب المكسور الذي يسُتخدم على مواقع التواصل الاجتماعي ؟

هذا قلبي بصورة كرتونية أوهم شركات التواصل باستخدامه، أفخر به لقد أصبح مشهور اً.

أرجو أن تجيبي هذه المرة، فاجئيني برسالة منكتوبخيني لأني لم أخبركِ أن هذا الفستان يليق بكِأكثر ،لأني لم أخبرك أنكِ أجمل الملامح على الكرة الأرضية وتجيبيني أنا؟، وأخبركِ نعم أنتِ يا ملاكي الصغير.

الى الغريبة التي استئجرت طابقاً في قلبي وذهبت دون دفع ا لإيجار مرّت سنة كاملة عن رسالتي الأولى ولا زلت أنتظر.

خرج الطحال أسفل عيني من رطوبة الدمع الذي نزُّ ، نبت العشُب في وجهي من وفرة المي اه، أصبح وجهي موطناً للحيوانات

الصغيرة وذلك بسبب وفرة المياه وخصوبة التربة، والموقع المتوسط بين أخاديدوجهي.

لقد مللت الانتظار، فاتتني الساعة، سئم مني الأرق، أصبحت أسمع تأفف القمر عند خروجه وكأنه يقول:

لقد عاد هذا العاشق الى بكُاءه، يشُفق عليّ من الأساس، لو انه يستطيع السقوط لأوصل الرسالة.

أندب حظي أم أشتم عجرفتك ؟

النبع الذي تفجّر من عيوني اقترب من الجفاف، أخاف أن ييبس الطحال والعشب الذي توّلد م ن رطوبة ما حول النبع.

لا تأتي الطبيعة البشرية إلّا بالعقاب، وأنتِ عاقبتني بما فيه الكفاية، جعلتني أمُزق دفتر الماضي كما مزقت دفتري عندما كنت أحُاول كتابة أول رسالة لكِ، قبل سنة من الآن.

نحن لا نفُرّق بين الصواب والخطأ إلّا بعد الندم علىالخطأ، يدمث الكسر عند الهشاشة وللسف نحن لانلين إلّا بعد السقوط .

أتعلمين شيئا؟ لو وصلتكِ هذه الرسالة أرجو أن تلاحظي أنني لم أكتب ذكرى تخصّنا!؛ لأنها ارهقتني، انتهز الشيطان فرصة

تعذيبي لأني عبدٌ صالح أكُثر من الاستغفار كلما تذكرت أخطائي معكِ؛ لذلك لا يذُكرني إلّا بجميع جوانبك الإيجابية، وذكرياتنا الحلوة التي ما كانت سوى فاكهة حلوة تغ يّر طعمها بعد شرب المياه وبالفعل تناسيت أنكِ حبيبتي كلما شربت دموعي، وتذكرت كم كنتِ لطيفة معي.

م رّ الوقت بطيئاً دونك! أعتقد أنكِ لن تأتي، ومع ذلك لدي شك بإن رسائلي ستصل! سأفعل المستحيل لإيصالها، أعدك بذلك.

نالت الحياة مني، أعترف لكِ في سطور أخرالكلمات، اشتقت لكِ كما يشتاق الطفل الى والدته ،وأعلم أن الأم لا تترك صغيرها مها حدث!

لماذا تركتني هكذا ؟

عقلي يمتلئ بالكلام المُبعثر، أعتذر لقد سئمت ترتيب الجُم ل، لقد نفد حبري هنا، وتبعثرت أشلائي هنا وهناك حتى لطخت المكان، فوضى المكتب سبب الوفاة لسبع عاملات تنظيف من صدمة المنظر الذي يصُنف بأنه إحدى عجائب الدنيا التي صنعها الإنسان من فوضى عارمة.

نقش التلعثم قد طُبع على شفتي، رعشة اليد منعت قلمي من التحرك على الورقة كيفما شئت، سيطر قلبي على عقلي، انتهت الحرب والمعركة ذلك القلب الصغير الذي كنت أعتقد أن وضيفته ضخ الدم ليس إلّا هو من انتصر.

تتبعثر الأوراق وتتكشّف الحقيقة، لا تأتي اللعنة منفراغ لابد وتدخّل الطلاسم والنصوص، ألن تأتي ؟لقد مللت من طرح الأسئلة ، أترك لكِ هذا النص الذي كتبته لكِ قبل حفل الوداع :

رُغم بعد المسافة التي تفصلنا، إلا أنكِ أقرب ال ي من نفسي، سئم قلبي من تلوث غثيان الفجر المظلم الذي يخلو منكِ! أريد الفجر أن يأتي عندما تكونين معي، رسم الديار الباهتة تفتت وهو حاضن لصورتك التي كانت على الحائط من فرط شوقه لكِ.

أحتاجك معي، عند الأصيل حين تنصل الشمس من

ثوبها وتتجرد.

قوقعة الانتهار النفسي تنطلي عل ي وقت تعصبنا على بعضنا، لا تحرميني فرحة اللقاء بكِ أو أ ن نكون متحدين تحت صفٍ واحد عند نعث الفتور بيد العاصي.

أحببتك بكل طاقتي التي استنُزفت وتجعدت وتقهقرت في عزة نهوضها عند اندحار جيشي أمام عينيكِ التي تلمع ألوانها لحظة الظهيرة وأثناء البكاء.

رعشة اليد، ونفحة الهبوب أثناء صديد الشمس في وسط الصحرا ء، وطقطقة العظام والتفكر بكِ هو ما أفقدني نفسي عند استماعي للأغاني التي تذُكرني بكِ.

لو تعلمين كمية الفرح بلقائك لعجلتي به، قحط السنين وجهد الرقة، وسدف الليل أسبابي الرئيسة للتفكر بالزواج بكِ أفعل أي شيء حتى ترضين بي ولربما أستطيع الولادة عنك لا أحمل فقط شغل البيت وتدبيره!

ألن تأتي ؟ بكت الرسائل من فرط الحزن الذي راودني عند الكتابة، نحيب الورق مزعج، تصرخ الكلمات فيما بينها وكأنها تحاول الهروب من تراصّ الجمل وتفريق المعنى. نفد حبر القلم بعد سقوطه قطرة قطرة بعد نزيف الدمع لحظة الذكرى.

هذا جُزء إضافي للرسائل الثلاث، لا أرُيد إرساله لأنه لن يصل أساساً.

الظروف، وسبعة عشر شارع اً، وخم سة أزقة ،وبابي ن، وتسع خطوات تبعدني عن غرفتك لو ذهبت زحفاً مكان الأحرف التي كتبتها لوصلت انا اليكِ وليس فقط رسائلي التي لم تصل!

لخلصت العالم من قراءة كلمات غير مفهومة ووفرت على دار النشر التعب معي في التدقيق والتنسيق والنشر ولم أفتح حصالتي التي كنت أخبئ بها تكاليف زواجك لكن للسف ذهبت النقود لنشر رسائلي المخفية لكِ وأخاف أن يفشل مخططي ولا تنتشر هذه الكتابة ولا تصل رسائلي لكِ ويذهب ثقة إهداء النص في مهب الريح عند جثة ساعي البريد الذي حمل رسائلي الثلاث ومات في الطريق ضحكاً عندما تطفل وقرأ ما يحمله في يده!

شتان بين الجهل والمعرفة،الجبر والانكسار، الشتات والتجميع.

أربع عشرة شخصية تتصارع بين بعضها من ستخرج وتسبق الأخرى.

لقد جردتني الحياة من نفسي حتى أصبحتُ ممزقاً لا أملّ من النظر الى ملامح وجهي في المرآة حتى أستطيع عدّ التجاعيد التي غطته في سن الشباب أو لأرى كم أسودّت الهالات أكثر كل يوم، وأتذكر من أكون.

بدأ الأمر عندما كنت أمشي في الطريق فسقطت من جيب سترتي ورقة صغيرة الحجم مكتوبٌ فيها اسمي، واسم عائلتي، ومكان بيتي، أوقفني أحد المارة وقال:يا صاح لقد أضعت شيئاً، ماهذا كله؟ أخبرته أني أحمل هذه المعلومات حتى لا أنساها من ضغط عقلي الذي أصبح حلبة قتال لأربعة عشر مصارعاً كل من الأخر يحاول فرض سيطرته.

لقد نسيت اسمي حتى، نسيتُ الى اي جنسٍ أنتمي

هل أكون شاباً لاني أُصارع الحياة بقسوة؟

أم أكون مجرد فتاة لا تعرف شيئاً سوى البكاء؟

انا حقاً استطعت أن أُبرهن أن الانكسار، والجبر،
والجهل،والمعرفة، والشتات، والتجميع لا يكون بينهما تضاد سوى
نفسي التي تناقض نفسها!

سمعت بقصص السندباد وعن علي بابا وعلاء الدين والمصباح السحري، كانت قصص طويلة قيلت لتخصيب مخيلتنا وتحريك الفانتازيا الشعورية فقط لا غير.

في الساعة الثانية منتصف الليل أمشي بخطوات دبقة في شارع يملؤه الظلام والوحدة عائداً الى منزلي بعد جلسة تافهة جلستها مع اصدقائي، أمشي بكل هدوء حتى تعثرت بابريق قديم ضحكت بهيستيرية لأتذكر قصص السندباد والمخيلة فركته بكل استهزاء حتى ارتعش بين يدي وخرج المارد وقال: أوامرك يا سيدي تفضل بأمنية واحدة

لم أصدق كل هذا وقلت بنفسي من سيصدقني لو قلت أنني واجهت مارداً؟

وبما أن الفرصة لا تتكرر مهما كانت خيالية قلت له: أريد أن استعيد حبيبتي التي انفصلت عني قبل خمس سنوات من الأن

قال المارد: ايمكن أن تكون أمنية أسهل فمن المستحيل تغيير القدر!

قلت له حسناً، أريد أن ينتهي الغدر والنفاق بين البشر أن تكون العلاقات حقيقية لا انحدار فيها

رأيت وجه المارد لقد كان شاحباً ومطأطأ، بعدها رفع رأسه وقال: ذكرني ما هو اسم حبيبتك لأردها؟

أن تغالط يعني أن تكون حماراً ينهق بين السهول.

ومن هنا بدأ النهق ينتشر بين عوالم البشرية حتى وصل الى الدم.

لم يعرف أحد معنى الحياة بل تُرجمت على قدر مفاهيم الرؤية لكل زاوية بعد لكثير من الفلاسفة والأدباء والرسامين والعامة والمهرجين..

لم يستطع أحد معرفة سردية الحياة التي آلت الى تضييق الفكر وتوسع البؤبؤ.

كل أعطى ترجمته الحرفية على قدر معرفة اللغة الخاصة به

ولكن ما معنى ان تعاش الحياة بكل سخف وعجرفة ؟

نرى الاختلال العقلي الذي أصاب الناس حتى أعاب معنى الحياة.

باتت كل التوجهات والرؤية منزوية مضمورة تحدق في النهق الذي يصدر من المهرجين في كل مكان.

تركت الناس منطقية الحياة وذهبت تداعب ذيولها وغريزتها الحيوانية.

كثير من الناس أنكروا حيوانية الانسان حتى القرن الواحد والعشرين أثبت حمق الناس عقلانية الحيوان "وانسانية" الانسان.

ولا بد ان تكون كل هذه الخيارات مقضية على قضية العاطفة التي أصابت عقول المراهقين وتوجهاتهم التافهة.

ما وراء النهر لم تكمن سمرقند من العباسية الى جنكيز خان

بل تكمن حماقة العصر حتى قُضي على المدينة وضياعها

ومن هنا من قبل النهر تعود غرائزية الأمة للظهور لتقول أن دماراً في العقول سيرفق بجهل أكثر دمساً من دمسنا هذا..

كانت تنتظرني لحظة خروجي من المنزل
وتموء لي حتى أعطيها الاهتمام
كانت تلاحقني حيثما أذهب
أكره القطط وأعطيت نصيبي من الكراهية لهذه القطة
بالرغم من معاملتي السيئة لها
إلّا أنها لم تكرهني
بل كانت تزداد تعلقاً
رشقتها بالحجارة، لوحت لها بقدمي
فعلت كل شيء لتذهب عني
لكن نظرتها تلك تخفي براءة الحيوان وجشع الإنسان
حتى ناظرتها وهي تُدهس أمامي
رغرغت بموتها أمامي
وحدقت بعينها على وجهي
وفارقت الحياة
لأكتشف مع التوقيت
أن لا أحد يحبني غيرها
هي رحلت الى الأزل
وأنا عشت لأتذكرها...

حقل ألغام نهايات واسعة طرق مظلمة جدران باهتة مروج خضراء يحتلها الضباب.

سراديب ومتاهات دهاليز وأنقاض طوب ورمال

هُدم الحائط بانت الحقيقة انقشع الضباب انهال المكان.

يجلس طائر الكنار على غصن شجرة القيقب يستمتع يغني يرقص يمد جناحه للحياة للأمل للطريق للحيوانات الأخرى.

الجو جميل الربيع حان حُرر العالم تكدر البؤس انتصر السلام بنى الطائر عشه ذهب الطائر يفاخر بانجازه ابتسم طار ثم عاد.

جمع الطعام تناوله رحل من جديد ثم عاد

أمان وسكينة رحلة وطريق حلو.....

حل الخريف سقطت الأوراق تعرى العش انحنى الطائر سقطت شظايا انتثرت كادت أن تقتله

ابتسم لأنه عاش أحس بالولادة من جديد طار نحو الجنوب ثم نار صياد لم يحسب لها حسبان طرحته أرضاً.

قبل عامين

كتب على سور قريب

" استنيني جاي اتجوزك"

على أمل أن يبني نفسه

انتظر

ثم تحرك طويلاً

أتلف أعصابه

أتلف كل شيء

ومر صدفة من جانب السور

حدق به طويلاً

ثم ضحك كثيراً على نفسه

وكتب بجانب كلماته

" الله ييسرلك ابن الحلال"

كان سائق الباص الذي أذهب به الى الجامعة يحمل شهادة الماجستير في تخصص الكيمياء ولكنه لم يتذمر يوماً للطلاب عن عدم وجود الوظيفة بعد التخرج.

وداخل المحاضرة كان دكتور المادة يحثنا على العلم وبناء المستقبل للستر داخل بيت الزوجية على أنه سنة كونية أمرنا به الله ولكني صدفته مرة يذهب للمحكمة لحل قضية النزاع بينه وبين زوجته.

وعند عودتي للمنزل كنت أرى جارنا الذي ترمل ومات أبناؤه ويعيش في وحدة مفرطة يحييني من بعيد ويأمرني بالقوة والابتسام مهما زادت متاعب الحياة ثم يعود لعزلته وحزنه.

وألتقي بصديقي بعد العشية ليشرح لي كيف يمكنني أن ألقى الحب الصادق بين عوالم الافتراء الذي نعيش فيه ولكني أرى في عينيه دمعة خفية تحمل تعاسة الخيانة التي قامت بها خطيبته.

لا تخبر أحداً عن تجاربك السيئة فلا دخل للبشرية للاشتراك بمصيرك..

عندما تُقرع طبول الحقيقة، ويقتل الشك النفس في مراحل الثقة، تُدرك أن المعاني كثيرة والفهم قليل.

لا بد وتفكك الخير، يعيش الإنسان في رغبة جامحة على القتل وأخذ الانتقام لكن هل تسنح الفرصة في تلبية الغريزة الشيطانية المرعبة التي تتلف من تآكل الموت في جسم العيش؟

لا بد ونزعة الشر أن تحضر في سقوط المتاهات عند نهاية الطريق قبل بداية النفق، لم يُعرف الترتيل أثناء الضياع، حتى السواد تُعاند الرب في دحره الى خارج جسدك ليخرج، ولكن قوانين الديانات هي من وضعت حدوداً لإطلاق طاقتك الكمينة وقت الضعف.

لولا شهوة النفس لما تكاثر الإنسان من بعد الخطيئة الكبرى عند الشجرة المحرمة، ومن هنا تنطلق لعنة الفكرة في العصيان وزيادة مكاسب الشيطان.

أشدّ ما يُبار هو تحرير السجية للتغلب على السِيّ عند وقع الحادثة قُبيل مراحل الجنازة.

كان لاورانوس عضوٌ ذكري ولا ننس أنه كان السجن للسكالبة وذوات المئة ذراع ينحيهم به إلى داخل التارتاروس في أعماق أمهم غايا!

تتمرد الأم والزوجة على زوجها وابنها فتُحرض الأولاد عليه لكن نزعة القدسية ما جعل من كرونس أشجعهم فقام بخصيه أثناء تمدده على الأرض، ومن هنا بدأ عصر آخر من ظلم كرونوس بأكل أولاده حتى ثار زيوس وقلع عضوه الذكري أيضاً.

كان انبثاث الظلم في جسد الحياة يترعرع عند نشوء الآلهة في زمن العدم قُبيل تكوين الفراغ؛ وهذا ما أكسب صفة الشر عند الإنسان.

لم يكن سقراط من الذين كانوا يعتقدون أن الشر هو من تعاظم النفس وقت غرور الحيرة وضعف القرين، لكنه كان مجرد انسان يطبع من تطبع آلهة الحضارة عند تبديد ظلم النزعة وحب التملك وجرآة الفعل.

دوره العظيم هو ما جعل حلفاء اشباه الفلاسفة في قلق وارتياب حول جشع فسق الشباب وزيادة الأرباح.

أثينا لا تعرف الرحمة ولا العدل،أين اله السماء من رعدٍ أصاب المدينة ولم يدرِ؟

كل مرادفات الكلام، فلسفة التشكيك، وإيمائات الجسد من عوامل وقوف الكثير من الأقلة مع المتهم في ارتكاب الظلم أثناء أحلامهم عند خصب المخيلة.

البشر لا يريدون من يكشف ضمائرهم السوداء بحكمة، بل يبحثون عن تزييف التعامل في تكلف الأمور ليبحثوا عن نهز الفرصة للربط بين أخذ المصلحة وهلاك النفس.

كان هنا أحدهم، مكروه الجميع لعظمة فلسفته التي تلاشت مع بلورات الملح، مرارة الحديث أسوء من قبح جرم الفعل نحن لن ندرك.

كان وداعه فظّاً وغريباً وقاسياً وكل شيء كم بدا كل شيء سيء.

كم كان مهلكاً وحارقاً كم كان لا أعرف ليس من الشرط التعبير عن داخلي....

على جدران إحدى الكنائس الكاثوليكية في منتصف المدينة في عام ١٦٧٥م وُجدت ورقة مكتوب فيها " سلبني شخصي المفضل من شخصي المفضل" ولم يفهم الناس بماذا يهذي صاحب الورقة حتى أعلن القس أنها كتابات شيطانية تستهدف إيمان الناس.

كانت هذه الورقة تعود لبيرناردو لاغاما كاسلو شابٌ يقطن في زقاق الحارة المتواضعة الواقعة في الطرف الأخر من المدينة شُوهد عدة مرات وهو يهرع للكنيسة كل يوم يرجو العطف بين أحضان اليسوع لخطيئة كبرى سيقوم بها.

وُجد الشاب مرمياً على مكتبه يحيطه القهر والندم

داخل جوٍ يعومه التعاسة بين أحضانه ورقة مكتوب بها

"كان وداعه ليناً" ومرة أخرى لم يفهم أحد هذا حتى فسّروه بأنه قربى للشيطان...

جاء العلم الحديث وأصبح الإنسان عبيداً للعلوم حتى فسّر: يمكن للحديد أن يكون ليناً بدرجات حرارة عالية.

ويبدو أن هذا الشاب عانى من الاحتراق من شخصه حتى وادعه بكل لين وترف.

عاد الناس الى أعمالهم ودُفن هو تحت تساؤلات كثيرة عن مصيره.....

كانت فترة طويلة لم ألمس فيها خلايا وجهي وشعري
وذلك لأنشغالي في الحياة الشاقة وتفاصيل الأيام المرهقة.
كان إحساساً غريباً لم أشعر به قبل فترة من الأن
وللأمانة هذه أول مرة ألمس فيها حراشف تمساح
أو هي تجاعيد وجهي لا أعرف
لكمات الزمن بان أثرها على بشرتي.
وأما عن شعري أعتقد أن الخريف لامسه ألمسه بيدٍ فارغة وأخرج بأوراقٍ يابسة.
لم أناظر المرآة منذ عقد من الزمن نسيت ملامح وجهي ولا أذكر كيف أبدو وكيف يراني الناس.
أطنان من الحسرات المكتومة تُبان رويداً رويداً
انا أُنهش داخل سرداب الليل حتى بدوت بنصف وجه أو بدون جاذبية...

اشتقت الى دمشق

.التي لم أزرها

إلّا في الخيال والصور

مكسوة بألوانها

دون التكدس بالرماد

حتى الصور القديمة

غيهب عليها الليل

فبدت ممزقة

لم تعد مختضبة

ممزوجة بالحياة

ولا زلت أجهل السبب

ثقافة الحروب أم شاشة هاتفي

لارتحل بالذهن

على صور بيروت

التي أطاح بها العيش

وتكدرها البؤس

دون نور أو ضوء

فقط ظلام وسواد

حتى لا يكون هناك بصيص أمل

أو شمعة حياة

للنجاة

ظلام البيوت والارواح
التي لم تعد ترى النور
فقط تسمع
عن فلسطين
وصوت الرصاص
ولو يعلموا أهل لبنان
أن هنالك نظر
الى بقع الدماء على الأرض
وكل مكان
ما بين الحدود وصولاً لعمّان
التي يعتريها الاكتئاب
مع أمن وأمان
بلاد الشام تشرذمت
وقطّعت مواطنيها وأرضها
فأنا اليوم
مهجر ضائع
أبحث بين العوالم
عن أشلاء المدن

تحت طاولة النزاع زجاجة ماء فيها قطرتان بعدما سقطت من شدة الخلاف الذي يقبع على الطاولة.

ارتفعت الأصوات وامتزجت وبدت مثل صوتي عندما أغني بحماس ومشاعر لشدة وقعها على الاذن وجعلها تنتحب من فظاعة الشيء.

أما اولنا فكان يبحث عن شرٍ دامس يُغطي به سماء هذا العالم الذي لطالما أصابه طاعون الحماقة من سلوكيات البشر.

يحلم بصناعة مفاعل نووي ذو تأثير كبير لتفجير ما تبقى من يابسة في عالمٍ يحكمه أسماك السردين .

يريد البقاء في المنزل بعيداً عن ضجيج عقول الناس وحقدهم وتكلف تعاملهم، وسوء نيتهم وأن يبقى مرتاح الرأس لا يمسه التفكير في ضغينة مع أحدهم يُناقض كلامه نيته.

وأما الأخر فكان يهدف الى خلق السرور بين عوالم الحياة بكل هدوء وسلاسة ليتسنى له التجول حيثما يشاء مع من يشاء.

يحلم بتكوين العلاقات مع جميع الناس دون خلق نزاعات تافهة لا تزيد من الامور شيئاً سوى العتاب.

يُريد أن يبقى مع البشر في سعادة وهناء، مقتنع بفكرة لا يمكن للانسان أن ينعم إلا بالبشر لأنهم هم من يخلقون النعيم.

وأما انا فلا يهمني شيء سوى النوم، أشد ما يجعلني سعيداً هو التنفس وانا مغمض العينين.

أحلم أنّي نائم وانا في قيلولتي، متصالح مع عقلي لدرجة أنني لا أتحرك حتى بالحلم تتفق جميع خلايا جسدي معي، حتى دورتي الدموية لا تصل لرأسي بسبب عجزها، أعترف بإصابتي بنزلة برد اربع مرات وذلك لأني لما أستطع تحريك عجزي لأغطي بطني بالغطاء الموجود على قدمي.

أُريد غطاءاً دافئاً يُغطي جسدي كله دون أوامرٍ مني
ولا أريد إنتهاء قيلولتي التي لربما تمتد لقرن كامل.
_حسناً، وعلى ماذا اتفقتم؟
_اتفقنا على أن زجاجة الماء لم يشرب منها أحد بل انسكب الماء حال وقوعها ليس إلّا.

يضع أحد الأشخاص المنبه في الصباح حتى يوقظه ثم يستيقظ ليشتم المنبه ويعود للنوم!

هو نفسه ذلك الشخص الذي يُحب الاستيقاظ وهو نائم، ويُحب النوم المبكر ولا يُفوت السهر.

قلة من الناس يستيقظون على صوت المنبه ولا يعودون للنوم ويبدؤون صباحهم بابتسامة ونشاط، وللأسف لا يُوجد مثيل لهم إلّا في الأفلام والمسلسلات، وبعدها يقع الممثل في حيرة وندم على تجسيد هذا الدور الفاشل الذي أخذ الكثير من وقته.

ومع كل هذا قد يفوت الانسان نصف عمره نائماً دون أن يفكر بما ينتظره في الخارج.

على صوت المنبه قد تجد شيكاً بمليون دولار حال استيقاظك والذهاب للمشي، قد ترتطم باحدى الحسناوات ويقع الحب بين عينيك وصولاً لقلبك.

لا يعرف المرء ما يخفيه هذا الصوت لربما انتهاره دليل على لزوم الاستيقاظ حتى تجد سعادتك في مكان آخر غير الفراش.

مع هذا يهرب كثير من الناس الى عوالم السرير تجنباُ للالتحام بواقع فاشل أدى بهم الى انعدام الشغف.

أحياناً تعلم أن الجانب الايجابي من قصة العصفورين واحدهما يستيقظ في الصباح ليجد الديدان والطعام والآخر لا يستيقظ ولا يجد الديدان والطعام أن الديدان التي تستيقظ باكراً تُؤكل أولاً.

السرير والاستيقاظ والمنبه! مغامرة وحدّة لا يمكن كسبها معاً عليك التضحية بواحدة، ولكن الأفضل من كل هذا أن تؤقت المنبة بتوقيت متأخر وتستيقظ عليه وتتحرك كالخفاش.

لست بشهرة كافكا لتُخلد رسائلي على مر التاريخ! ولست بهذا الوعي حتى أستطيع ايصال أفكاري مثل تشيخوف، ولست كروميو أُجيد التضحيات، ولست متوازناً بين الحب والعمل مثل كوري، ولا أستطيع ابتكار طريقة جديدة أوصل رسائلي بها مثل بيتهوفن، ولكنّي اؤمن بملحمة أبولو بعد صراعي المُقلّد.

لست ممن يحبون الاجتماعية، لست من ذوي الصداقات المتعددة، لست من الواثقين بالحياة، انا وحيد ومتخاذل، انا هزيل ومريض، انا من الذين يعانون النرجسية والضعف، الانفصام وآحادية القطب، الكآبة والتعاسة، من محبي النوايا، من عديمي منح الفرص، من الذين لايستطيعون الوثوق بأحد من المتنكرين لزيّ أخر؛ حتى لا تُبان في جلودهم أثار الحياة ولكنّي

وثقت بكِ أحببتك كنتِ أنتِ ملاذي الأخير من هذا العالم،

ألا يحق لي أن أخاف على ملاذي الدافئ؟

ثم كيف لك أن تتخيل حجم الخذلان الذي يُصيبني قبل النوم، وكيف لك أن تتخيل حجم لملمة الشُتات الذي أقوم به عند وضع رأسي على وسادتي.

وكيف أبدو أمامك بكل هذا البرود المزيف الذي يُجبرني على رسم ابتسامتي بقلم رصاص.

أيام ثقال أواجهها بانهزامات متتالية أرهقت صفوف العظام في عامودي الفقري.

لم أنبس ببنت شفة مع نفسي، لم أعد أجيد التفكير، صوتي الداخلي قد بهت ورحل حتى نسيت كيف يبدو.

نسيت بأي لغة أتكلم، الى أي عرق أنتمي أين أنا ولما كل هذا يحدث معي؟

أصبحت مملاً لدرجة سماع نفس الأغاني كل يوم دون ملل أصبحت مملاً حتى فرّت خلايا خدي؛ حتى لا تلتصق بكف يدي الذي لا يزيح سيطرته عليها .

أغطي جسدي النحيل بملابس مزينة حتى لا تظهر أثار الكدمات أمام العامة.

أمتلك أذنً عجيبة تمكنني من الاستماع والتأتأة بالكلام.

لا أفهم حالتي هذه كما لما تفهم ما دخل أذني بردائة كلامي.

تآمرت علي الحياة، ورضخت لها بكل عفوية وتفاؤل

لو أن أحدهم لم يخبرني انني قدوته في مواجه الحياة لجهرت باستسلامي نهاراً.

لا تبرح الروح منزلة السكون إلّا بوجود الأنيس يُسكنها.

مذ فتحة الرؤية عشت في أزقة وسراب، بين حبكات وخراب حتى وجدت أنيس الراحة ضوء الليل.

وجدت من اطفأت النار وزينت سواد السماء بنجوم وأبراج جمعت سدم الكآبة وحولته الى جرم وأجرام.

واليوم أتذكر جميع خيباتي قبل معرفتها أتذكر حياتي وطريقة نفسي قبل أن يحصل بيننا الكلام وقبل معرفتي بوجودها.

حادثتها بكل شغف وانتهت ليلتنا الأولى مع بعضنا،

واليوم نكمل السنة الأولى من ذكر جمع شتاتي معها.

مرت سنتنا الأولى يا عزيزتي!

مرت ومرت سعادتنا ومشاكلنا، ذكرياتنا المجنونة وتفاصيلها الدقيقة وشعورها الغريب الذي لا يمكن وصفه.

أكتب لكِ على رمق البصيرة ، أحببتكِ ببصيرتي قبيل قلبي أحببتك حتى أستحوذتِ على عقلي وجسدي!

انا أعرفك من سنة، أعرفك في أشد حالات الدهر وحشية كنت معي في كل انتكاسة وتحطم وكنت معي في كل سعادة وهناء.

مرت سنة من أعمارنا

ولا زلت أنتظر ذهاب السنين حتى أحظى بكِ طول العمر وفي كل وقت.

أنا وأنتِ ليس لنا طريق نهاية لا يجمعنا الوقت ولا تغرينا الظروف، مختلفان عن الباقين نعيش بانتصار ووحشية نحب بعضنا بطريقة مختلفة ولتكن قصتنا مختلفة .

صدقيني لا أعرف ماذا أقول وأحكي ولكن أنتِ، أنتِ من جعلتي لكل ذكرياتي وبؤسي وانتكاساتي وتفاصيلي معنى.

انا هنا

وحدي بين صخرتين

أرض ومرآة

أرى من خلاله انعكاس صورتك

طول جريان النهر

يلاحقني وجهك الصامت

سكوتك الغريب

ورائحتك على كتفي

انظر الى النهر

أراكِ فيه

انظر الى انعكاسي

تتمارى صورتك حولي

بيني وبين نفسي

دون نفسي

دون خيالي

دون أن اراني

فقط أنت هنا

انا اجلس انظر لك

احاول كسر جمود المكان

تجمعني معك السماءفقط

رحلتنا غريبة

اصبح النهر شديد الجريان
انعكاس صورتك الغريب
وسماء
وصمتك القاتل الذي يناظرني
من الانعكاس
يحبس انفاسي
كانت وحدتي هكذا
مجتمعة بك
لا يفرقها شيء
لا خيال اراك فيه
ولا سماء تتشكل على هيئتك
ولا نهر يعكس صورتك
فقط نظراتك على طول الجريان
في وحدتي
بين كل جموع الناس
اراكِ على وجوههم
على وجه العامود المتكئ عليه
في انعكاس النهر الذي يبين بصورتك
اعذريني
اريد ان اغطس
حتى احتضنك من الاعماق

واخذ صورتك تلك..

لربما هذا اليوم السابع والعشرين الذي لم اتوق به الى شيء.

تنتابني فوضى عارمة، أعتقد أن لاشيء في هذا العالم يدور ويتحرك.

لا أريد الرهان ولا استطيع المقاومة والمضي، الآف الخلايا تتصارع مابين كسول ونشط مستسلم ولا يرفض الاستسلام.

انا في حيرة من أمري لا أدري عن الوقت أو المواعيد

هل الساعة تدور أصلاً؟

يجتاحني العدم وأقصد بالعدم الفراغ

لا أعلم هل المكان فارغ أم أنا العدم بين كل هذا الوجود؟

خلف المنزل

هناك أرجوحة

يركبها طفل يحلق في الفضاء

كان يرفع نفسه بنفسه

ويؤرجح ذاته

لم يُحس يوماً بيد تدفعه

فقط في الهواء

يداعب شعره الخروبي

كبر هذا الطفل

وهرمت الأرجوحة

يجلس حائراً

كل ما في مخيلته

٧أرجوحته تلك

وفناء

ويد تدفعه

ونسمة هواء رطبة

تداعب شعره التالف

نام الطفل

وهم يحلم

بمنزل بسيط

ليجد الأرجوحة

ثم بعد بحث طويل
وجد الأرجوحة
لكنه يحتاج
ليد تدفعه
لأن الهواء
لا يخالط الصيف....